١

استقبال العام الجديد
اغتنام الأوقات بالباقيات الصالحات (١)

الخُطْبَةُ الأُولَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَة ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَة فِي النَّارِ .

عباد الله: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ [الأنعام : ١٣٤].

فإننا في هذه الأيام نستقبل عامًا هجريًا جديدًا ونودع عامًا آخر، فكيف

(١) تلقى هذه الخطبة في آخر جمعة من ذي الحجة أو في أول جمعة من محرم.

سنستقبل هذا العام؟ ، وماذا قدمنا في العام المنصرم؟ ، أما العام الجديد فيتدارك بالتوبة ، والاستعداد بالأعمال الصالحة، وأما العام الذي مضى فلا يتدارك إلا بالتوبة والاستغفار ، والندم على ما فات من التقصير.

فأيام الناس على ثلاثة أقسام: يوم مضى، ويوم حاضر، ويوم آت .

فأما اليوم الماضي فكما تقدم يتدارك بالتوبة والاستغفار مما تقدم من الذنوب، والدعاء بأن يتقبل الله صالح الأعمال، وأما اليوم الحاضر فيستعد له بالطاعات من ذكر الله وشكره وحسن عبادته، وأما اليوم الآت -ولعلك لا تدركه- فتستعد له بالنية الصالحة وذلك أن تصلح ما بينك وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مستقبلاً.

فقد روى البخاري ومسلم عن ابْن عَبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُمَا، عَن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ الله تعالى : « **إِنَّ الله كَتَبَ الحَسَنَات وَالسَّيِّئَات ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَات إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ** » الحديث. وهذا لما يستقبل من الزمان.

وفي الصحيحين عن عمربن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى** » الحديث .

أيها الناس:

إننا نشاهد في هذه الأيام تقارباً في الزمان ومرور الأيام والشهور والأعوام سريعًا، وهذا مؤذن بقرب قيام الساعة، كيف لا؟! ونبينا ﷺ يقول كما في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :« **بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ** » . وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى .

فبعثته ﷺ أول علامات الساعة فإذا كان هذا قبل أربعة عشر قرنًا فكيف

بزماننا ؟، فالساعة قريبة ولا شك ، قال الله تعالى:﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾[القمر:١] .

وقال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنبياء:١-٣] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هَذَا تَنْبِيهٌ مِنَ الله، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى اقْتِرَاب السَّاعَة وَدُنُوِّهَا، وَأَنَّ النَّاسَ فِي غَفْلَةٍ عَنْهَا، أَيْ: لَا يَعْمَلُونَ لَهَا، وَلَا يَسْتَعِدُّونَ مِنْ أَجْلِهَا. اهـ

ومن علامتها سرعة الأيام وقلة البركة فيها، فقد روى الترمذي عَنْ أَنَس ابْن مَالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: « **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْر، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَة، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْم، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَة، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرَمَة بِالنَّار**» . وقوله : «**كَالْجُمُعَةِ**» أي:كالأسبوع،وقوله : « **كَالضَّرَمَةِ بِالنَّارِ** » أي:كاحتراق السعفة.

ومن علامات قرب قيام الساعة كثرة الفتن ، ورفع العلم ، وكثرة القتل، ففي الصحيحين عنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ** » قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: « **الْقَتْل**» .

الشُّحُّ هو : البُخل.

الشاهدمن هذا، كيف نستقبل ما بقي من أعمارنا في هذا الزمان؟، ونحن سائرون إلى الله ومسافرون إلى الدار الآخرة ، وكل يوم ونحن نقترب من الآخرة ونبتعد من الدنيا .

عباد الله:

أعمالنا قليلة وأعمارنا قصيرة وآجالنا قريبة وآمالنا طويلة وأسفارنا بعيدة...

فما المخرج؟ ليس لنا إلا مخرج واحد ألا وهو العودة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واغتنام ما بقي من أعمارنا في طاعة الله وشكره وحسن عبادته وذكره، ومحاسبة أنفسنا على مافرطنا ومداركة ذلك بالتوبة النصوح.

فاغتنموا هذه اللحظات والساعات وما بقي من الأيام والسنوات بطاعة رب الأرض والسماوات والابتعاد عن المعاصي والبدع والمحدثات، فإن الدنيا أيام قلائل لا تساوي شيئًا أمام الآخرة، فإن المفرطين يأتون يوم القيامة يقسمون الأيمان المؤكدة بأنهم ما لبثوا في هذه الدنيا إلا الساعات المعدودة، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الروم:٥٥].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾[المؤمنون:١١٢-١١٤].

أي وإن لبثتم فيها مئات السنين على تقدير ذلك فهي قليلة بمقابل الآخرة وكما قيل: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج:٤٧].

قال ابن كثير: أي: هو تعالى لا يَعجَل، فإن مقدار ألف سَنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه، لعلمه بأنه على الانتقام قادر، وأنه لا يفوته شيء، وإن أجَّلَ وأنظَر وأملى؛ ولهذا قال بعد هذا: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا ۖ وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ ﴾[الحج:٤٨] اهـ.

وقال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ

سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ ﴾[المعارج:٤-٦].
فهذا اليوم هو يوم القيامة على الصحيح بدلالة سياق الآيات، ومقداره خمسون ألف سَنة.

فكل هذه الآيات تدل على طول الآخرة وقصر الدنيا وحقارتها، فاجعل أملك بالآخرة ولا تجعله بالدنيا فإن الدنيا قصيرة وعمر الإنسان فيها أقصر، فاجعل هذا العمر القصير ذخرا للعمر الطويل الذي لا نهاية له، فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ**» .

فانظر واعقل، فإن عمر الإنسان في الدنيا مابين الستين إلى السبعين، لكنه في الآخرة مخلد في الجنة أو النار، فمن عمل قليلاً أجر كثيرًا ، ومن فرط في القليل خسر الخسران المبين ، نسأل الله العافية والسلامة.

ومع كون العمر قصيرًا لكن بإمكان العبد أن يتذكر فيه ويعبد الله ويغتنمه بالباقيات الصالحات ، ليفوز بجنة عرضها الأرض والسموات .

قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾ [فاطر:٣٧] .

فمن ضيع عمره في اللهو واللعب فلا عذر له، لا سيما من بلغ الستين من عمره ، وهو لا يزال في لهوه وغفلته.

فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ --صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-- قَالَ: « **أَعْذَرَ الله إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ، حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً** » أي :زال عنه العذر فلا عذر له إن لقي الله بعيدًا عن طاعته وقد أمده بهذا العمر .

وهكذا كل مكلف يلقى الله بعيدًا عن دينه فلا عذر له وإن كان شابًا لكن يتأكد في حق الشيخ الكبير أكثر، فطوبى لمن قضى عمره في طاعة الرحمن،

وخاب وخسر من ضيع وقته في اللهو واللعب والعصيان.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :من لم يجعل وقته كله لله فالموت خيره له من الحياة. اهـ

وقال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الفوت أشد من الموت.اهـ

مصداق ذلك ما ثبت عن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَجُلاً قَالَ: « يَا رَسُولَ الله أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ، قَالَ: **مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ**، قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: **مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُه**» . رواه الترمذي وأحمد رحمهما الله تعالى.

فيا أيها الإنسان إنه لن تتحرك قدمك يوم القيامة إلى الجنة ولا إلى النار -والعياذ بالله - إلا بعد أن تسأل عن أربعة أسئلة وهي: عمرك وشبابك ومالك وعملك.

فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَة، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا فَعَلَ بِهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ، فِيمَا أَبْلَاهُ**» ، وفي رواية: « **وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاه** » .

والشباب داخل في العمر وهو من باب عطف الخاص على العام، وهذا يدل على أهمية الشباب ولأنه جوهرة العمر ولهذا فإن الشاب الصالح العابد من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ، الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا ، حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ** » .

الشاهد « **وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ** » ، فاغتنم شبابك في طاعة الله أيها المسلم

قبل الهرم وقبل أن تضعف عن العمل فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يس:٦٨] .

أي نضعف حواسه وقدرته فلا يستطيع التزود من الأعمال الصالحة التي لا يقوم بها إلا الشباب كالصيام والقيام والجهاد والحج ونحو ذلك.

واغتنم وقتك قبل الندم والحسرات فإن المغبون هو الذي يضيع وقته وفراغه فيما يسخط الله و في غير مرضات الله و في اللهو واللعب .

ففي صحيح البخاري عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ** » .

والغُبن هو الندم والحسرة ،كرجل غبن في سلعة باعها بثمن بخس، فأصيب بالغبن، أو اشترى سلعة بأضعاف ثمنها فلما تبين له قيمتها الحقيقة غُبن ، وأصيب بالحسرة والندامة، فهذا في سلعة دنيوية، فكيف بأغلى سلعة على الإطلاق وهي جنة عرضها السماوات والأرض؟! .

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[التغابن : ٩] .

« **أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّةُ** » . ثبت هذا عن النبي ﷺ عند الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فاغتنم فراغك في طاعة الله واعلم أن الفراغ أقسام ثلاثة: فراغ القلب وفراغ اللسان وفراغ الجوارح ، فلا تَدع لسانك فارغًا من ذكر الله تعالى، ولا تدع قلبك فارغًا من حب الله تعالى وخشيته والإنابة إليه، ولا تَدع جوارحك فارغة من طاعة الله تعالى والتقرب إليه بالأعمال الصالحة، فاجعل حياتك كلها لله، فإن الله تعالى يقول: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : من استعمل فراغه بطاعة الله فهو المغبوط ومن استعمله في معصية الله فهو المغبون. اهـ بمعناه.

والمغبوط: هو الرجل الذي أنعم الله عليه بنعمة فغبطه الناس، أي: يتمنون أن يكون لهم مثل هذه النعمة دون تمني زوالها كحديث: « **لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ** » متفق عليه عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا .

فيا أيها الناس إن الوقت ثمين ونعمة سنحاسب عليه وسنندم ونغبن، إن فرطنا فيه ،ولم نغتنمه بذكر الله وطاعته وطاعة رسوله والصلاة عليه، فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: « **مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا الله فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ**» .

وروى أبو داود والنسائي عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَنْ قَامَ مَقَامًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ** » ومعنى ترة: أي :خسارة ونقص أو تبعة وحسرة.

وفي الحديث إشارة إلى اغتنام الأوقات حال القيام والقعود، والسير والاضطجاع،ولهذا امتدح الله أولي الألباب بأنهم يغتنمون أوقاتهم حال قيامهم وقعودهم ورقودهم وفي جميع أحوالهم فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١].

وإن أهل الجنة يوم القيامة ليتحسرون على الأوقات التي لم يغتنموها، وإن دخلوا الجنة .

فقد روى الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: « **مَا مِنْ قَوْمٍ يَقْعُدُونَ ثُمَّ يَقُومُونَ وَلَا يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ**» .

ولأهمية الأوقات وعظمتها أقسم الله بها في كثير من الآيات والله عظيم، له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته العظيمة الدالة على عظمته فأقسم بالأوقات لعظمتها ولما اشتملت عليه من العبادات العظيمة المشروعة فيها فأقسم بالفجر والليالي العشر فقال: ﴿ **وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢** ﴾ [الفجر:١-٢] ، والفجر يشتمل على صلاة الفجر والليالي العشر هي أيام عشر ذي الحجة ومن المعلوم أن الأعمال الصالحة فيها أفضل من الجهاد في سبيل الله، وأقسم الله بالضحى المشتمل على سبحة الضحى، وأقسم بالليل المشتمل على قيام الليل فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢** ﴾ [الضُّحى:١-٢] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١** ﴾ [الليل : ١] ، ثم بين فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦** ﴾ [المزَّمل:٦] .

ومعنى ناشئة الليل:أي :صلاة الليل.

وأقسم الله بالعصر المشتمل على صلاة العصر فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢** ﴾[العصر:١] .وقد ذكر بعض المفسرين أن المقصود بالعصر في هذه السورة هو: صلاة العصر.

وذكر كثير من المفسرين أن المراد بالعصر في هذه السورة: الزمان، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم.اهـ.

فيجب على المسلم أن يعظم هذه الأوقات كما عظمها الله تعالى وأن يغتنمها بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

فقد روى الحاكم عَن ابْن عَبَّاس، رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لرَجُل وَهُوَ يَعظُهُ: « **اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْس: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**» . أي افعل خمسة أشياء قبل حصول خمسة أشياء تعقبها، فاغتنم الشباب قبل الهرم والشيخوخة، فإنها إذا جاءت ضعف العبد عن العمل .

واغتنم الصحة قبل المرض فإنك إن مرضت عجزت عن بعض الأعمال .

واغتنم الغنى بالصدقات والانفاق في أبواب الخير، فإنه إذا جاء الفقر لا تجد ما تنفق منه، واغتنم الفراغ قبل أن تشغل بشيء من أمور الدنيا، فإنك إن شغلت لا تستطيع التفرغ للعبادات وطلب العلم وغير ذلك .

قال عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تفقهوا قبل أن تسودوا.اهـ. أي: قبل أن تشغلوا بالسيادة والرعاية وغير ذلك .

واغتنم الحياة قبل الموت فإنه إذا جاء الموت انقطع عملك وطويت صحيفة ديوانك فلا سبيل إلى العمل والرجوع إلى الدنيا لعمل الصالحات، كما قال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾** ﴾ [المؤمنون:٩٩].

اللهم إنا نسألك التوفيق والسداد ، اللهم اعمر أوقاتنا بذكرك وشكرك وحُسن عبادتك ، ووفقنا لكل خير.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ،وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيما لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ،الداعي إلى رضوانه، وأصلي وأسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وإخوانه.

أما بعد:

فيا أيها الناس إنه لا بد من محاسبة الأنفس ولومها على تقصيرها فالمؤمن اللبيب والرجل العاقل هو الذي يحاسب نفسه قبل أن يحاسب ، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل، فإن أهل الدنيا من أهل الأموال و التجارات، يحاسبون أنفسهم على تقصيرهم في باب المكاسب، ويندمون إذا حصل فيها نقص غاية الندم ، ويخصصون أوقاتًا للحساب كل يوم من ليلٍ أو نهار ، بل ويجعلون في رأس كل سَنة حصرا لتجاراتهم لمعرفة ماذا قدموا وًماذا أخروا ، وماذا كسبوا وكم خسروا ، ليتداركوا ما فاتهم ويعوضوا ما خسروا، أليس من باب أولى أن يحاسب العبد نفسه على تجارة الآخرة ، التي فيها الفوز السرمدي والنجاة من العذاب الأبدي ؟، فلماذا ما يجعل العبد لنفسه ساعة كل يوم يحاسب نفسه فيها ماذا قدم وماذا أخر؟، فإن عمل خيرًا سأل الله الإخلاص والقبول ، وإن عمل شرًا استغفر وتاب ، وأصلح ما أفسد .

فإنه ما من عبد إلا وسيحاسب على الصغير والكبير ، وعلى النقير والقطمير، فالمؤمن يحاسب الحساب اليسير ، والكافر يحاسب الحساب العسير، قال

تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الانشقاق:٧-١٢] .

فأين لوم النفس على تقصيرها وتدارك ما فات بإصلاح العمل؟، فإن كل نفس تأتي يوم القيامة تلوم صاحبها، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أقسم بالنفس اللوامة لكثرة لومها لصاحبها يوم القيامة فإن كان صاحبها مقصرا تلومه على التقصير وإن كان صالحا تلومه على عدم الإكثار من الخير قال تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾ [القيامة: ١-٢].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وهي جميع النفوس الخيرة والفاجرة، سميت ﴿ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ لكثرة ترددها وتلومها وعدم ثبوتها على حالة من أحوالها، ولأنها عند الموت تلوم صاحبها على ما عملت ، بل نفس المؤمن تلوم صاحبها في الدنيا على ما حصل منه، من تفريط أو تقصير في حق من الحقوق. اهـ

وقال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :أي: تَنْدَمُ عَلَى مَا فَاتَ وَتَقُولُ لَوْ فَعَلْتُ وَلَوْ لَمْ أَفْعَلْ. قَالَ الْفَرَّاءُ: لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ بَرَّةٍ وَلَا فَاجِرَةٍ إِلَّا وَهِيَ تَلُومُ نَفْسَهَا، إِنْ كَانَتْ عَمِلَتْ خَيْرًا قَالَتْ: هَلَّا ازْدَدْتُ، وَإِنْ عملت شرا قالت: لَيْتَنِي لَمْ أَفْعَلْ. قَالَ الْحَسَنُ: هِيَ النَّفْسُ الْمُؤْمِنَةُ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ وَاللهِ مَا تَرَاهُ إِلَّا يَلُومُ نَفْسَهُ مَا أَرَدْتُ بِكَلَامِي مَا أَرَدْتُ بِأَكْلَتِي وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَمْضِي قُدُمًا لَا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ ولا يعاتبها. قَالَ مُقَاتِلٌ: هِيَ النَّفْسُ الْكَافِرَةُ تَلُومُ نَفْسَهَا فِي الْآخِرَةِ عَلَى مَا فَرَّطَتْ فِي أَمْرِ اللهِ فِي الدُّنْيَا.اهـ

وقال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر نحوا من هذه الأقوال: قَالَ ابْنُ جَرِير الطبري: وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُتَقَارِبَةُ الْمَعْنَى، الْأَشْبَهُ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ أَنَّهَا الَّتِي تَلُومُ صَاحِبَهَا عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَتَنْدَمُ عَلَى مَا فَاتَ. هذه هي النفس اللوامة

وبقي قسمان في الأنفس ، وهما النفس الامارة بالسوء ، والنفس المطمئنة ، ولا تعارض ، فإن نفس المؤمن مطمئنة ولوامة ، فأما النفس الأمارة بالسوء فهي التي تأمر صاحبها بالسوء والمعاصي.اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ أي: لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان. اهـ.

قال تعالى عن امرأة العزيز: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف:٥٣] .

وأما النفس المطمئنة فهي النفس التي اطمأنت بربها وسكنت بحبه وصدَّقت بوعده وارتاحت بجانبه وآمنت بدينه وانقادت لشرعه ورضيت بأقداره وفازت بثوابه وجنته قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾[الفجر:٢٧-٢٨].

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فَأَمَّا النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ الْمُطْمَئِنَّةُ وَهِيَ السَّاكِنَةُ الثَّابِتَةُ الدَّائِرَةُ مَعَ الْحَقِّ فَيُقَالُ لَهَا:﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ أَيْ: إِلَى جِوَارِهِ وَثَوَابِهِ وَمَا أَعَدَّ لِعِبَادِهِ فِي جَنَّتِهِ، ﴿ رَاضِيَةً ﴾ أَيْ: فِي نَفْسِهَا ﴿ مَّرْضِيَّةً ﴾ أَيْ: قَدْ رَضِيَتْ عَنِ اللهِ وَرَضِيَ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا، ﴿ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ ﴾ أَيْ: فِي جُمْلَتِهِمْ، ﴿ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ وَهَذَا يُقَالُ لَهَا عِنْدَ الِاحْتِضَارِ، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَيْضًا، كَمَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُبَشِّرُونَ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ احْتِضَارِهِ وَعِنْدَ قِيَامِهِ مِنْ قَبْرِهِ، وَكَذَلِكَ هَاهُنَا.اهـ.

فيا أيها المسلون الحذر من ضياع الأوقات في اللهو واللعب والعصيان، فإن كثيرًا من الناس قد ذبحوا أوقاتهم في المحادثات والقيل والقال وأكل القات وأمام المسلسلات والخوض في البدع والمحدثات وضيعوا أعمارهم في السياسة

والتحليلات إلا ما رحم رب البريات وغفلوا عن اليوم الذي تنزل فيه عليهم السكرات وتتوالى عليهم الحسرات ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم:٤٨] .

فهذه اللحظات والساعات والأيام التي تمر هي من عمرك يا أيها الإنسان ولن تعود إلى قيام الساعة فادخرها لذلك اليوم .

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يا ابن آدم إنما أنت أيام ، فكلما مر يوم فقد مر بعضك.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : كل يوم يصبح ينادي: يا ابن آدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد ولن أعود إلى يوم القيامة.اهـ .

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : ما ندمت على شيء ندمي على يوم اقترب فيه أجلي ولم يزدد فيه عملي.اهـ

فابدأ عامك بخير واندم على ما فرطت فيما مضى واعدد نفسك من الموتى، لعلك تموت من عامك هذا، كم من إخوان لنا فارقناهم، وقد عاشوا معنا العام الماضي، وفي هذا العام صاروا من المفقودين، أين ذهبوا؟ وماذا حصل لهم؟إنه الموت فاجأهم، فقطع آمالهم، وانقضت آجالهم ،﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ [سبأ : ٥٤] .

فيا عباد الله :إن الأعوام والسنين تمر سريعًا ، فهذا ينصرم وهذا يقترب حتى يشرف العبد على الدار الآخرة ويلاقي ربه ، فانتقلوا بخير مابحضرتكم، فيوشك أن تصلوا :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ ﴾ [الانشقاق : ٦] .

فأعمالكم الصالحة هي رأس أموالكم، وآخرتكم هي مستقبلكم الحقيقي ، فلا تغتروا بالدنيا ولا تنخدعوا بها.

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [فاطر : ٥].

وقال تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[العنكبوت : ٦٤] ﴿ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾أي : الحياة الحقيقية.

وقال الشاعر:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خاب بانيها

اللهم وفقنا لفعل الطاعات ، وترك ا لمنكرات ، والثبات على الدين حتى الممات ، إنك قريب مجيب الدعوات ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.